

يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكِرَامَ،

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءَ،

لَا شَكَّ أَنَّهُ يَحِقُّ لِلَّيْلَةِ وُلْدَ فِيهَا النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ﷺ أَنْ تَهْنَأَ وَتُحْيَا. وَلَيْسَ ذَاكَ بِمُجَرَّدِ الْكَلَامِ. يَحْسُنُ ذِكْرُ النَّبِيِّ ﷺ وَإِحْيَاءُ مَوْلَاهِ الشَّرِيفِ وَإِنْشَادُ الْمَرَاثِي لَهُ. وَلَكِنَّ اتِّبَاعَ هَذَا النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﷺ وَالْحَيَاةَ عَلَى سُنَّتِهِ أَهَمُّ وَأَفْضَلُ. فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾² وَأَرْشَدَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَدِيثِهِ الشَّرِيفِ: «الْمُتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ»³

إِخْوَتِي الْفُضَلَاءَ،

مَا مَعْنَى اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ؟ اتِّبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ يَعْنِي الْإِيمَانَ بِأُصُولِ الدِّينِ الَّذِي بَلَّغَهُ بِالْكَفِيَّةِ الَّتِي بَيَّنَّهَا. وَلَيْسَ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَقُولَ: "إِنِّي أُوْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلِكُنِّي لَا أُصَلِّي وَلَا أَصُومُ، لَا أُوتِي الزَّكَاةَ وَلَا أَفْرُقُ بَيْنَ الْحَرَامِ وَالْحَلَالِ وَلَا أَجْتَنِبُ الرِّبَا وَلَا الْخَمْرَ وَلَا الْمَيْسِرَ" وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَعِيشَ حَيَاةً فِيهَا الْكُذِبُ وَالغِيْبَةُ وَالْحَسَدُ. إِذَا كَانَ الْمُسْلِمُ صَادِقًا بِوَعْدِهِ، وَمُوفِيًا بِعَهْدِهِ، وَأَمِينًا فِي مُجْتَمَعِهِ، وَمُحْسِنًا فِي عَمَلِهِ، وَمُجْتَنِبًا لِكُلِّ شَرٍّ وَضَرَرٍ، وَنَافِعًا لِلنَّاسِ وَعَامِلًا لِمَصْلَحَتِهِمْ فَإِذَنْ يُعْتَبَرُ مُتَّبِعًا لِلنَّبِيِّ ﷺ. وَلَكِنَّ مَعَ الْأَسْفِ الشَّدِيدِ نَرَى الْيَوْمَ أَنَّ سَمْعَةَ الْمُسْلِمِينَ بَعِيدَةٌ عَنِ ذَلِكَ. فَعَلَيْنَا بِالْعَمَلِ الْمُنَاسِبِ لِلْمُسْلِمِينَ وَلِنَبْدَأُ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ وَمُتَابَعَةِ خُطَوَاتِ الصَّحَابَةِ لِنَكُونَ الْأُمَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ الَّتِي تَنْتَظِرُهَا الْإِنْسَانِيَّةُ. نُهْنِئُكُمْ مَرَّةً أُخْرَى بِمُنَاسَبَةِ الْمَوْلِدِ الشَّرِيفِ وَنَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ رَسُولَهُ ﷺ قُدْوَةً.

يَقَعُ مَوْلِدُ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى ﷺ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي تَرْبُطُ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ الْقَادِمِ إِلَى يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ. وَبِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ نُهَيُّ الْعَالَمَ الْإِسْلَامِيَّ وَجَمِيعَ النَّاسِ. تَشَرَّفَ الْعَالَمُ بِوِلَادَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ ﷺ سَنَةَ خَمْسِمِائَةٍ وَوَاحِدٍ وَسَبْعِينَ فِي لَيْلَةِ الْإِثْنَيْنِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ. وَكَانَتِ الْإِنْسَانِيَّةُ فِي هَذَا الْعَصْرِ - وَأَهْلُ مَكَّةَ خَاصَّةً - تَعِيشُ فِي فِتْرَةٍ ظَلَامٍ بِالنَّسْبَةِ لِقَضَايَا الْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ. وَمِنْهُ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ فِي مَكَّةَ وَفِيهَا بَيْتُ اللَّهِ الْكَعْبَةَ الْمُعْظَمَةَ. وَسَيَّطَرَتْ عَلَى الْمُجْتَمَعِ الْعُنْصُرِيَّةُ. وَمَا عُرِفَ الْحَقُّ إِلَّا لِأَفْرَادِ قَبِيلَةِ الشَّخْصِ. وَلِذَلِكَ كَثُرَتْ فِي هَذَا الْعَصْرِ الْإِخْتِلَافَاتُ وَالْحُرُوبُ. كَانَ الْعَالِيُونَ عَلَى الْحَقِّ وَكَانَ الْمُسْتَضْعَفُونَ عَلَى الْبَاطِلِ. وَظَلَمَ الشَّخْصُ الَّذِي لَا مَالَ وَلَا مَدَافِعَ لَهُ. وَلَمْ يَرَ الْمُجْتَمَعُ حَرَجًا فِي الْأُمُورِ الْمُهْلِكَةِ لِاِقْتِصَادِهِ وَأَخْلَاقِهِ كَالْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَالرِّبَا وَالزَّنَا. وَظَلِمَتِ الْبَنَاتُ وَالنِّسَاءُ خَاصَّةً بِأَنَّ الْمُجْتَمَعُ لَمْ يَرَهُنَّ شَيْئًا مِمَّا أَدَّى إِلَى دَفْنِ بَنَاتِهِمْ حَيًّا بَعْدَ وِلَادَتِهِنَّ. وَكَانَ قَدْ ذَبَلَ مَفْهُومُ الْعَائِلَةِ. وَكَانَ الرِّجَالُ يَتَزَوَّجُونَ مِنَ النِّسَاءِ مَا شَاؤُوا بِلَا أَيْ حَدٍّ.

إِخْوَتِي الْمُحْتَرَمُونَ،

فِي ذَاكَ الْعَصْرِ الَّذِي عَظُمَ فِيهِ الظُّلْمُ وَالْجَهَالَةُ مِنْ نَاحِيَةِ دِينِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ وُلِدَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَنَشَأَ فِي هَذَا الْمُجْتَمَعِ حَتَّى بُعِثَ رَسُولًا بَعْدَ سِنِّهِ الْأَرْبَعِينَ. وَمَعَ أَنَّهُ وُلِدَ وَنَشَأَ فِي مُجْتَمَعٍ كَثِيرِ الظُّلْمِ وَعَصْرِ عَظِيمِ الظُّلَامِ، اصْطَنَعَهُ اللَّهُ (جَلَّ جَلَالُهُ) رَجُلًا طَاهِرًا مُطَهَّرًا أَمِينًا، يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ وَيُؤْمَنُ قَوْلُهُ وَأَمَانَتُهُ. فَمَثَلُ ﷺ شَخْصِيَّةَ الْأَمِينِ فِي مُجْتَمَعِ الْجَاهِلِيَّةِ بِحَقِّهَا. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾¹